



من الفقه السياسي في السيرة النبوية، إظهار خطاب القوة والاستشارة في الوقت الحرج وواقع الاستضعفاف، والتنبية إلى الزلل والثغرات في وقت النصر وواقع الاستقواء.

في قصة الخندق:

عن البراء بن عازب الأنصاري، قال: لَمَّا كَانَ حِينَ أَمْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، عَرَضَ لَنَا فِي بَعْضِ الْخَنْدَقِ صَخْرَةً عَظِيمَةً شَدِيدَةً، لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْنَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَاهَا أَخْذَ الْمَعْوَلَ وَقَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ"، وَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلَاثَهَا، فَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيَتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا يُبَصِّرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ، فَقَطَعَ ثُلَاثًا آخَرَ فَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيَتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا يُبَصِّرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَاضِ"، ثُمَّ ضَرَبَ التَّالِيَةَ فَقَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ"، فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيَتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا يُبَصِّرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي السَّاعَةِ". دلائل النبوة للبيهقي رقم الحديث: 1335

تخيل عشرة آلاف يحيطون بالمدينة المنورة إنها ضائقه شديدة جداً، والرسول في وسط هذه الضائقه وهم في مخمصة وخوف وجوع وبرد يطلق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البشريات وينتقل بهم من واقع ضعفهم إلى أفق بعيد من وراء سجوف الغيب ليحدثهم عن النصر والظفر فترتفع معنوياتهم.

كيف يكون رد المسلمين وهو يسمعون بشريات النبي وهم في هذه الضائقه؟ قال المؤمنون كما وصفهم الحق تبارك وتعالى: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: 22].

المسلمون في هذه الضائقه علموا أن نصر الله قريب؛ لأن نصر الله يأتي بعد اشتداد الأزمات. أما المنافقون فلما رأوا الفجوة الواسعة بين إمكانيات المسلمين وإمكانيات الأحزاب، قالوا كما أخبر الحق تبارك وتعالى عنهم: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب: 12].

وكانوا يقولون إن محمد يعدنا أن نأخذ كل كنوز فارس وأحدنا لا يأمن على نفسه الخروج للخلاف. وفي الصورة المقابلة الواقع قوة والخطاب تحذير وتنبية.

سمع الناس في عهد الرسول بمقدم أبي علاء الحضرمي من البحرين بأموال معه، فتجمعوا حول الرسول فقال: ((فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا كما فتحت على الذين من قبلكم، فتنافسوا كما تنافسوا فتهاكم كما أهلكتهم)) رواه البخاري

هكذا كان الصادق المصدق عليه الصلاة والسلام يحذر الناس والأخيار في عهده من افتتاح الدنيا عليهم والاغترار بغيرها ومتاعها الزائل الحقير، ومن غلب عليه حب الدنيا فإن النتيجة الطبيعية الهلاك؛ هلاك المجتمع، وهلاك الأشخاص..

لذلك تجد الخطاب الرباني بعيد بدر وهي نصر عظيم ويوم الفرقان يبدأ بالتنبية إلى الثغرات والأخطاء التي ظهرت من الاختلاف على الغنائم، قال تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْفَقُوا اللَّهُ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنَكُمْ وَأَطْبِعُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (1) الأنفال

وتجد بعيد هزيمة أحد والفشل بعد الظفر يبدأ الخطاب الرياني بتضميده الجراح وتسلية المؤمنين، قال تعالى (إِنَّ يَمْسَكُمْ
قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مَّثُلُهُ وَتُلَكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ) (140)آل عمران

صفحة الكاتب على فيسبوك

المصادر: